... وأرقص

سهير صبري

مجموعة قصصية

دار العين للنشر

fb/mashro3pdf

...وأرقص

fb/mashro3pdf

...وأرقص

(مجموعة قصصية)

سهير صبري

الطبعة الأولى / ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر

٤ ممر بهار - قصر النيل - القاهرة

تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦

E-mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار

أ.د. أحمد شوقي

أ. خالد فهمي

أ.د. فتح الله الشيخ

أ.د. فيصل يونس

أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: بسمة صلاح

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٦٥٤٧/ ٢٠١٣

I.S.B.N 978 - 977 - 490 - 247 - 5

fb/mashro3pdf

... وأرقص

مجموعة قصصية

سهير صبري

دار العين للنشر

fb/mashro3pdf

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

صبري، سهير.

... وأرقص: مجموعة قصصية/ سهير صبري.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٤

ص؛ سم.

تدمك: ٥ ٢٤٧ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان

٨١٣,٠١

رقم الإيداع/ ١٦٥٤٧/ ٢٠١٣

fb/mashro3pdf

"ومدام الدنيا ماهيش دايمة وقيامة على العالم قايمة
حلوهـا وافرحـوا بيـها والطيب اعملوه فيهـا"

بيرم التونسي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إهـداء

إلى أهل الطرب الجميل الذين لولاهم ما كانت الحياة بهذا الجمال

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

المحتويات

١ – معلمتي شجرة الصبار 11
٢ – عيد ميلادي في القطار 13
٣ – أنا كبرت! 17
٤ – أبلة جميلة 19
٥ – مصالحة 21
٦ – لحظة تحول 24
٧ – موتوسيكل 25
٨ – نادية 27
٩ – النار 29
١٠ – كنت معها... هناك 33
١١ – تلك النظرة 35
١٢ – بتحطي نفسك في مواقف بايخاااة! 38
١٣ – يو سبيك أرابيك؟ 40
١٤ – تصريح الخروج 42
١٥ – غطاء الرأس 45
١٦ – صوت السشوار 47
١٧ – أنا باحب الكمساري 48

fb/mashro3pdf

١٨- الناس النُص نُص 50
١٩- حادث تصادم 52
٢٠- الإسورة والطوق 53
٢١- عبودية 55
٢٢- من زوج محب إلى زوجته البائسة 57
٢٣- شرفت يا هانم 59
٢٤- لذاذة الستات 61
٢٥- أقر وأعترف 63
٢٦- عودة المارد إلى القمقم 65
٢٧- الربيع والقمر 67
٢٨- الحلو ما يكملش 69
٢٩- هدى صاحبتي اتجوزت 71
٣٠- هذا الأفاق صنيعتي 73
٣١- في الطريق إلى دهب 75
٣٢- عذرًا يا ولدي 78
٣٣- الشجيرات الخضراء 80
٣٤- أنا سعيدة 82
٣٥- وأرقص!..... 84

fb/mashro3pdf

معلمتي شجرة الصبار

كانت لدي في بلكونة شقتي في ذلك الوقت شجرة صبار، شجرة صغيرة كاملة من فصيلة الصبار وليست مجرد نبتة صغيرة.

مع قدوم الخريف، بدأت أوراق الشجرة في التساقط، حتى إذا ما بلغ فصل الشتاء مبلغه كانت قدتحولت إلى أفرع جرداء عارية تمامًا، لا حياة فيها، ظننت أنه لن تقوم لها قيامة مرة ثانية.

ظللت – للاحتياط – أسقيها من وقت إلى آخر فربما كانت بعض الخلايا فيها لا تزال حية ولا يجب أن أشارك في موتها. أصبحت قبيحة المنظر ولا تسر رؤيتها العين أبدًا، وقررت التخلص منها، ولكنني – تكاسلا – أجلت

fb/mashro3pdf

ذلك بعض الوقت، خاصة أنني لم أعد أرى قبحها من كثرة الاعتياد.

ذات صباح جميل مع قدوم الربيع، رأيتها مجددًا، لم أصدق ما جرى لهذه الشجرة.. كان ابتهاجها بالحياة يفوق الوصف، بدأت أوراق طازجة خضراء جميلة تنمو في كل مكان فيها، وما هي إلا أيام قليلة حتى اكتست تمامًا بالأوراق الخضراء، بل وبدأت زهرة رائعة تنطلق من منتصفها، زهرة شديدة الجمال. أهذه هي زهرة الصبار، رمز الحب غير المشروط؟

(سرت البهجة في كل كياني مما جرى لشجرتي. ومنذ هذا اليوم، أتذكرها كلما ذبل عودي وأنا أمر بأزمة من أزمات الحياة، أكون على يقين من أنني سوف أورق من جديد، لا أعرف متى، ولكني أكون على ثقة من أنه ذات صباح جميل سأبتهج مجددًا بالحياة كشجرتي، أكون على ثقة أنه مهما طال الوقت فإن هذا الصباح آتٍ.)

fb/mashro3pdf

عيد ميلادي في القطار

رحيلًا رحيلًا بغير هوادة
رحيلًا فإن الرحيل سعادة
عبادة... إرادة... سيادة... ولادة
رحيلًا.. إلى أين ليس يهم
وليس يهم بأي وسيلة..

(صلاح جاهين)

هذا بالضبط ما أشعر به في عيد ميلادي.. أحتفل به بالسفر وحدي، يا حبذا لو إلى مكان لم تطأه قدماي من قبل.. لا يهم إلى أين أنا ذاهبة، فربما إلى دولة أوروبية بالطائرة، أو إلى بلدة صغيرة في مصر بالميكروباس، فالمغامرة ليست حكرًا على نقطة في العالم دون الأخرى، علينا فقط أن

fb/mashro3pdf

نفتح قلوبنا وأجهزة استقبالنا للدنيا. في هذا اليوم، أُطلق العنان لخيالي وظروفي وقتها لتحدد الوجهة. ياسلام لو الرحلة فيها ركوب قطار من قطارات الدرجة الثالثة التي تتكثف فيها حميميتنا والتي لا بد ستحمل لك بعض القصص الطازجة. لا شك أن هذه القطارات هي التي غنى لها عبد الوهاب "يا وابور قل لي رايح على فين"، وهي التي ركابها "بعد شوية يبقوا أحباب.. وده يعرف ده.. رايح على فين..".

لم أرد في هذا العام أن أذهب بعيدًا، بل إلى طنطا فقط. شعرت أني أرغب في زيارة السيد البدوي والمكوث في مسجده لبعض الوقت. قطعت تذكرة في القطار "المميز" المتجه إلى المنصورة عن طريق طنطا والذي لا شك يحمل هذا الاسم من عهود بعيدة لأنه لم يعد مميزًا سوى في قذارته وتهالكه ليس إلّا..

ركبت القطار، وكنت محظوظة إذ وجدت مقعدًا بجوار النافذة، ولكنني تبينت بعدها أن المقعد كان في الناحية التي ستغمرها شمس الصيف الحارقة طوال الطريق، لذلك تجنبها الركاب المنتظمون الذين صعدوا في البداية. ولكني كنت سعيدة بالمقعد على أية حال. جلست سيدة بجواري، وسيدتان في المقعد أمامي.

(رميت بصري في صف المقاعد المجاور فإذا برجلين يجلسان أمام بعضهما ويلعبان الكوتشينة بعد أن أسندا كارتونة على ركبتيهما.. وآخر اندماج.. شاي.. وسجاير.. ياه بصرة، ويالله قُش) وفي اتجاه آخر كان

fb/mashro3pdf

ثنائي غيرهما يلعبان الورق أيضًا على شنطة سمسونايت قديمة، يبدو أنه نشاط مألوف هنا..

بدأ بعد قليل الباعة الجائلون ينادون على بضاعتهم التي تشمل كل ما تتخيله وما لا تتخيله.. ساعة كاسيو بعشرة جِني، وفواحة باثنين جني.. ومخبوزات.. وحلوى.. وأدوات مطبخ.. وملابس للأطفال..

كانت بعض الحوارات قد دارت بالفعل بيننا نحن السيدات الأربع، عرفتُ أنهن جميعًا من المنصورة، ذكرن ذلك بالفخر المعتاد من بنات المنصورة بسبب ما يقال عن جمالهن من بين بنات المعمورة. كما عرفنا جميعًا كم ولدًا وكم بنتًا لدى كل منا، وماذا نعمل، كانت ثلاث منا يعملن، والرابعة فقط سيدة منزل.

اشترت السيدة التي أمامي فواحتين، واحدة لها والأخرى لجارتها، واشترينا جميعًا بعض الحلوى، وأكلناها سويًا.

جاء الكمساري وقطع التذاكر الرخيصة. كان يعمل بإخلاص رغم فقره الشديد، كان الفقر وقلة الدخل متمثلين في جميع تفاصيله، من تعبيرات وجهه إلى ملابسه، إلى أسنانه.. بنطاله، حذائه. الفقر والبؤس يقطران منه، كان سنيًا و لم يتح لي أي فرصة لكي أمنحه أي نقود إضافية فقد كان تعيسًا في نبل.

أوشك القطار على الوصول إلى محطة طنطا، فاقتربتُ من الباب ووقفت وسط عدد من الركاب الذين يستعدون للنزول مثلي. في هذه اللحظة،

fb/mashro3pdf

جاء المفتش الذي كانت حاله أفضل كثيرًا من الكمساري لا أعرف لماذا، فلا أظن أن الفارق في مرتبيهما كبير ليحدث هذا الاختلاف، كان مبتهجًا متفائلًا يتمتع بحس فكاهي واضح. طلب مني التذكرة، وبعد أن هممت بإخراجها قال لي: "خلاص.. خلاص"، ولكني صممت أن أخرجها له، فابتسم وحكى لنا نادرة مما يصادفه في عمله حين طلب التذكرة ذات مرة من أحد الركاب، فقال له الراكب: "خلاص" فقال له (المفتش): "وريني"، فكرر الراكب: "باقول لك خلاص"، فكرر المفتش: "طب وريني"، فقال له الراكب "باقول لك خلاص اقطع لي". فضحكنا جميعًا، وذكّرت هذه القصة الشاب متين البنية الذي كان واقفًا على حافة باب القطار بقصة مشابهة، فقال إنه كان فرد أمن في الاستاد، واعتاد شخص أن يقول له "الرائد محمد" ويندفع داخلًا، وعندما جرؤ ذات مرة على سؤاله عن الكارنيه، قال له هذا الشخص: "الرائد محمد موجود؟"... ولا أدري كيف اتسع الوقت في هذه الدقائق القليلة ونحن في انتظار وقوف القطار لهذه القصص إضافة إلى بعض الحوارات السياسية كما هي الحال في كل ركن من أركان مصر في هذا الوقت.

وصلت إلى طنطا، وكانت لي هناك مغامرات أخرى. شي الله يا سيد يا بدوي.

fb/mashro3pdf

أنا كبرت!

جاءت إلى مكتبي ذات صباح مبتسمة ابتسامة فيها نشوة وخجل وهمست لي: "على فكرة أنا كبرت!"

كنا في أوائل العشرينيات من العمر، ورغم أني كنت آلف وجهها الصبوح منذ أيام المدرسة الثانوية، إلا أن صداقتنا الحميمة الممتدة لم تبدأ إلا عندما جمعتنا أول وظيفة لكلينا. كانت وظيفة مؤقتة لحين قيام "القوى العاملة" بتسكيننا في وظيفة ثابتة كما كانت الحال حينذاك.

أردفت صديقتي في شقاوة ونشوة تشرح ما الذي جعلها تعرف أنها كبرت: "النهارده الصبح قابلت زوج مدام رقية في الأتوبيس، كنت أنا

fb/mashro3pdf

قاعدة وهو واقف وحسيت إني مش مفروض أقف له". كان هذا هو أول شعور لها بأنها لم تعد الطفلة التي تهرول واقفة للرجل الثلاثيني لأنه عمو، بل كان أول شعور بأنها أصبحت آنسة تجلس هي ويقف الرجال.

ملحوظة لا بد منها، كانت الأتوبيسات وقتذاك لا تزال وسيلة المواصلات الأساسية للجميع، وكانت لا تزال صالحة للاستعمال الآدمي.

أما أنا فالمواقف التي أشعرتني بأنني كبرت لم تكن بمثل براءة صديقتي، بل على العكس من ذلك، كانت هي المواقف التي بدأت أشعر فيها بفقدان براءتي وعفويتي، وبداية عمل حسابات، وربما تربص بالآخر درءًا للأذى.

منها عندما قررت في أول وظيفة لي أن أتعامل بندية مع زميلي الأكبر الجالس أمامي في الحجرة نفسها، والذي كنت أعد معه بيانًا يوميًا عن حركة المخزون من السلعة التي تسوقها مؤسستنا. كان قد استغل صغر سني وجعلني أحمل الآلة الحاسبة اليدوية (الثقيلة وقتها) والأوراق من وإلى مكتبه، يشير بإشارة من يده بمعنى "هاتيها"، فأنقل له ما يريده.

قررت في لحظة التعامل الندي معه، وظللت أستجمع قواي طوال اليوم لكي أستطيع تنفيذ ما قررته. ما إن أشار بيده لكي أحمل له الماكينة، حتى أزحتها إلى حافة مكتبي وقلت له: "أنا خلاص خلصت"، ونظرت بسرعة في أوراقي في اندماج شديد، ولكنني لمحت رغم ذلك الدهشة التي ارتسمت على وجهه، والابتسامة التي حاول إخفاءها.

شعرت يومها "أنني كبرت".

fb/mashro3pdf

أبلة جميلة

وقفتُ مندهشة أمام أبلة جميلة وهي تعتذر لي في حنان آسر قائلة: "ياحبيبتي ما نصفتك.. ياحبيبتي خيبت ظنك".

كانت أبلة جميلة ترتبط بصلة قرابة بجدتي التي تقيم معنا، وكانت تزورنا بين الحين والآخر للاطمئنان عليها. كانت امرأة أكثر تعليمًا من أمي، وتبدو أكثر حداثة منها في مظهرها.

كتب القدر قصته لأبلة جميلة، إذ توفي زوجها فجأة وهما في ريعان الشباب تاركًا لها ولدًا وبنتًا صغيرين. حكم عليها الأهل بالزواج من شقيق زوجها الذي يصغرها سنًا ونضجًا. صدر القرار من كلتا العائلتين من أجل الأبناء، ولا بد لها ولشقيق الزوج من الانصياع.

fb/mashro3pdf

قبلت أبلة جميلة قدرها، ولكنها أضافت تفاصيل من عندها. وافقت على الزواج ليطمئن أهل الزوج على أبنائهم، وعلى أن باب الزواج مجددًا بات مغلقًا عليها إلى الأبد، وفي الوقت نفسه أعلنت أن الزواج صوري، وأن عم الأولاد لن يدخل بها، وأن له حرية الزواج من أخرى. وعاشت حياتها هكذا.

في زيارتها هذه، كنتُ في حوالي الثانية عشرة من عمري، وبدأت أعلن الرغبة في الاستقلال والتصادم مع أهلي. كنت على خلاف مع أمي لرفضها السماح لي بزيارة صديقتي في بيتها بعد توقفنا عن اللعب معًا في الشارع الذي كبرنا عليه، والذي يبدو أنه كان أهون على الأهل من أن نغيب عن عيونهم في بيوت الأصدقاء.

انتهزتُ فرصة زيارة أبلة جميلة بهيئتها الحديثة لأشكو لها تشدد أمي متوقعة أن تناصرني وتؤيدني، ولكنها لم تفعل، بل أيدت أمي وخوفها علي.

ما إن رأت الشعور بالخذلان الذي تبدى في عينيّ الصغيرتين، حتى بدأتْ تعتذر لي لأنها لم تنصفني و لم تنصرني وأنا التي لجأتُ إليها. كانت مكروبة لخذلاني، وجاءت كلماتها الحانية كالتربيت على كتفي الصغيرة نسيتُ مسألة زيارة صديقتي ورفض أمي، وحُفر في وجداني منذ هذا اليوم أن نصرة من يلجأ إلينا واجب، وأن خذلانه عمل مخزٍ يستوجب الاعتذار والخجل.

fb/mashro3pdf

مصالحة

نظرت إلى نفسي في المرآة وأنا أضع اللمسات الأخيرة قبل خروجي من البيت، شعرت برضا تام عن كيف أبدو، فأرسلت لنفسي قبلة في الهواء، وقلت: "قمر يا سوسو..."

أعجب كيف أصبح كل شيء فيَّ غاليًا علي وعزيزًا إلى قلبي. أشعر أن السنين لم تزدني إلا جمالًا. أتأمل علامات السنين، هذان الخطان المتوازيان بين حاجبي، لم يظهرا إلا في فترة منتصف العمر عندما مررت بأزمة كبيرة ورحلة طلاق وعودة إلى الدراسة. كنت مقطبة حاجبي على نحو متواصل لسنوات، فظهر هذان الخطان المتوازيان بينهما.

fb/mashro3pdf

وتلك الخطوط حول العينين، لا بد أنها من كثرة الضحك مع صديقاتي وإخوتي، فأنا من أسرة خفيفة الظل نضحك كثيرًا معًا مهما كانت ظروف كل منا. وربما كان بعضها من محاولة تجنب الشمس الساطعة أثناء سفرياتي المتكررة إلى صحرائنا الساحرة وشواطئنا الأجمل من بين شواطئ العالم.

أما هذه الخطوط بعرض الجبهة، فلا بد أنها من كثرة الاندهاش، فأنا أعرف أنني أندهش (كالبلهاء أحيانًا) على أشياء بديهية تمامًا للجميع.

أَعْجَب ممن يلجأون إلى محاولة إخفاء خطوط الزمن بهذا الاختراع العجيب الذي يصيب العضلات الرقيقة بالشلل. أتعجب كيف تهون عليهم علامات السنين؟ كيف تهون عليهم ذكرياتهم، وآلامهم، وأفراحهم وضحكاتهم؟ كيف يهون عليهم جسدهم يوخزونه بهذه الإبر التي تشل حركته؟

شببت وأنا أعتقد أنني لا أتمتع بأي جمال، وربما كان في ذلك خيرٌ لي إذ أدركت مبكرًا أنه ليس أمامي من طريق سوى تطوير كل ما أستطيعه من مواهب أخرى للتعويض. كنت لا أحب شكلي، لا أحب تقاطيعي، لا أحب جسدي، و لم أكن أصدق إذا قال لي قائل أنني جميلة، كنت أرى أن ذلك حتمًا من باب المجاملة و"رفع الروح المعنوية".

وذات مرة ونحن في مستهل الشباب، كنت أحدث صديقة لي كيف أن وسطي ليس رفيعًا بالقدر الكافي، وأن هذا يضايقني، فإذا بصديقتي

fb/mashro3pdf

تمسك بوسطها في إعجاب موضحة كيف يكون الوسط الأنثوي الصحيح.

بهرني شعور صديقتي وثقتها بجمالها، وهي التي لا تتمتع بجمال يبرر هذه الثقة، وأدركتُ في تلك اللحظة أن العيب في شخصيتي وليس في شكلي. وعكفت منذ ذلك الحين على التصالح مع ذاتي.

والآن وأنا أتأمل نفسي أعجب بما أحرزته. بات تصالحي مع ذاتي مدهشًا. أصبحت أشعر أنني امرأة جميلة، وفخورة بما أنا عليه....

fb/mashro3pdf

لحظة تحول

عندما كنت أكتب الخطاب الإلكتروني إلى صديقتي الإنجليزية كنت شخصًا، وعندما نقرت الزر لكي أرسل الخطاب كنت شخصًا آخر.

كان الفرق بين اللحظتين مكالمة تليفونية تلقيتها بأن صديقة عمري ثبتت إصابتها بسرطان في المخ، وبأن حالتها غير مطمئنة.

في لحظة تحولت إلى شخص آخر، هناك أنا قبل هذا النبأ، وأنا أخرى بعده.

fb/mashro3pdf

موتوسيكل

كانت تسرع بسيارتها لمقابلة عدد من الأصدقاء والصديقات في أحد نوادي العاصمة الخاصة. كان عليها ألا تتأخر عن موعدها، فهي من وجهت الدعوة لهذا الجمع.

في نقطة ما على الطريق، وجدت أمامها موتوسيكلًا. وهي، مثلها مثل كل سائقي السيارات تكره الموتوسيكلات، ولا تدري هل يرجع ذلك للحقد عليها لقدرتها العجيبة على المناورة وتقدمها الصفوف في أي إشارة مرور سخيفة، بينما تقف السيارات لا حول لها ولا قوة، أم بسبب الخطر الجاثم الذي يستحضره الموتوسيكل، فأي غلطة بموتة غالبًا.. أم هو مجرد تعالٍ طبقي على الغلابة... "غلاسة كده".. لا تدري ولكن طول

fb/mashro3pdf

فترة بقاء الموتوسيكل أمامها كانت مغتاظة وتود لو "يغور" من وشها.

فجأة، انهمرت دموعها انهمارًا عندما "شافت" الشابين اللذين يمتطيان الموتوسيكل. بدايةً كانا بلا خوذات واقية فهي رفاهية لا يقدر عليها الفقراء أمثالهم. كان الجالس على المقعد الأمامي بالطبع هو من يقوده، أما الجالس في الخلف فكان حاضنًا للفائف كبيرة يبدو أنها ملابس أو ما شابه ذلك وضعاها بينهما مما لم يترك مساحة إنسانية للجالس في الخلف، و لم يكن ثمة ما يستند إليه مما قد ينقذه في حالة التوقف الفجائي مثلًا، كان بالعكس هو الممسك بحرص شديد باللفائف التي كانا بلا شك ينقلانها من مكان إلى آخر في إطار عمل ما يتقوتان منه.

تمنت بشدة لو أن هناك طريقة تعتذر لهما بها عن شعورها الغليظ الأول، وتقول لهما كم تحبهما وتتمنى لهما كل الخير، كل ما استطاعت أن تفعله هو الدعاء بحفظهما وفتح أبواب الرزق أمامهما (عل الله يتقبل)..

fb/mashro3pdf

نادية

في أثناء انهماكي للانتهاء من "الواجب" الدراسي الذي عليَّ الانتهاء منه قبل ذهابي إلى محاضرات الدراسات العليا التي أقوم بها عل وعسى أن أجد لنفسي مهنة وذاتًا بعد أن ذبت في الأسرة وتربية الأبناء ونسيت أن لي "ذاتًا" يجب تنميتها، بينما أنا في عجلة للانتهاء من الواجب للإسراع إلى المحاضرات التي تبدأ في حوالي الثالثة ظهرًا، أسمع نداء الجيران: نادية.. تعالي خدي أشرف. نادية.. طلعي العجلة، نادية.. هاتي عيش وطماطم وزيت وخل وصابون والجرنال.. إلى آخر تلك الطلبات.

لا بد أن نادية هذه زوجة بواب العمارة المجاورة. ظللت أتخيلها وهي

fb/mashro3pdf

تحمل أشرف، أو العجلة، أو المشتريات، فأشفق عليها. ظلت هذه هي الحال طوال العام الدراسي تقريبًا.

ذات يوم من أيام الامتحانات كنت أشتري بعض الحلوى من محل مجاور لتناولها أثناء الامتحان فقد كنت أشعر بتوتر عصبي قبله لا يمكنني من تناول أي طعام. كانت في المحل طفلة صغيرة بادية الذكاء، حسبت لي الحساب قبل صاحبة المحل، واقترحت عليَّ أصنافًا بدلًا من غيرها ترى أنها أفضل، وتمنت لي التوفيق.

أعجبتُ بالطفلة وأُسِرْت بها، وتبادلنا أنا وهي نظرات حب رائقة جميلة أسعدتني، ثم فجأة قالت لها صاحبة المحل :"كفاية بقى يا نادية"!!

نادية!! هل من المعقول أن تكون هذه الطفلة الضئيلة هي "النادية" التي أسمع نداء الجيران لها وتكليفها بهذه المهام؟ لا أعتقد.

انتظرت على أحر من الجمر أن أسمع نداء الجيران لنادية، وما إن نادى أحدهم حتى قفزت من مضجعي لأرى من المقصودة، فإذا بها هي.. هي.. الطفلة المعجزة نادية..

fb/mashro3pdf

النـار

كانت أبلة عائشة تحدثنا في هذا اليوم عن النار. قالت إن المسلمين سيدخلون الجنة، ولكن بعد حسابهم على ما ارتكبوه من أفعال. كان الموضوع مثيرًا للغاية وفتح مناقشات مطولة حوله.

كانت أبلة عائشة تدرس لنا مادتي اللغة العربية والدين ونحن في الصف السادس الابتدائي. كانت امرأة جميلة في تحفظ، ترتدي التايرات الجميلة، أو "التونزات" التي كانت النساء يرتدينها وقتذاك، بأزرار في المنتصف، ونصف الكم، وكما هي الحال وقتها لم تغطِ شعرها مما يسمح لنا برؤيتها كاملة دون تغطية ملمح أساسي من ملامح الشخصية. كانت نموذجًا في مثاليتها وصدقها وإخلاصها. لا شك أن حبي لأبلة عائشة كان

fb/mashro3pdf

السبب وراء حبي للغة العربية الذي لازمني طوال حياتي.

من جانبي كنت مصدومة لمعرفة أن الجميع داخلون النار لتسوية الحساب أولًا، ثم بعدها الجنة. كيف الجميع وأنا أعرف كثيرين لا يستحقون دخول النار أبدًا.

نشأت في بيت شديد التدين، ولكني لا أذكر أنني سمعت كلمة النار تتردد في بيتنا قط، لا أذكر أبدًا أني سمعتها. كنا نسمع عن التواضع، والأمانة، والناس سواسية كأسنان المشط، وصون النعمة لئلا تزول. أذكر أثواب القماش الكستور التي كانت تملأ بيتنا في رمضان لتوزيعها على المحتاجين لكسوة الشتاء، والتي كانت أمي تحرص على شرائها بنفسها لتختار أفضل الأنواع وأسمكها. أذكر كيف كنا نعامل من كانوا يأتون للمساعدة في أعمال المنزل فيجلسن معنا على المائدة وينمن على أسرة بجوارنا.

كان حي الدقي الذي نسكنه مقامًا لمختلف طبقات المجتمع: الشريحة الوسطى من الطبقة المتوسطة التي أنتمي إليها تقطن في منطقة سليمان جوهر، والشريحة الأعلى في ميداني فيني والمساحة، والشرائح الأقل حظًا في داير الناحية وعزبة أولاد علام.

كانت مدارس الحكومة تجمعنا كلنا في الفصل الواحد، فقبول الطلاب كان يتم بناء على المناطق السكنية فحسب، وليس على أي أساس آخر. نشأت ولي صداقات من المناطق الثلاث. أذهب في يوم إلى صديقتي سالكةً طريقي بين أزقة عزبة أولاد علام، وفي يوم آخر لفيلا صديقة

fb/mashro3pdf

أخرى في ميدان فيني نجلس على الكراسي البامبو تحت أشجار المانجو. وظل معي طوال حياتي هذا الشعور العابر للطبقات.

لا أذكر أن أسرتي طلبت مني عدم الكذب مثلًا، فالكذب لم يكن مطروحًا أصلًا كي ينهونا عنه.

كان تَدَيُّن أسرتي يحثنا أيضًا على الرأفة بجميع مخلوقات الله، وكانت هذه القيم تتغلغل فينا دون كلام تقريبًا. كان لدى أبي محل بقالة، وكان يصلي الفجر في المنزل ثم يذهب مباشرة لفتحه، ترافقه، بل تنتظره، قطط الحي تسير معه حتى يصل إلى المحل، فهي تعرف أنها في عملية إعداده للطلبات ستحصل على ما لذ وطاب. وكان يسعد سعادة كبيرة برحلته هذه مع القطط التي تؤنس وحدته طول الطريق وسط الظلمة التي لم تتبدد بعد.

كان تَدَيُّن أبي يبدو في ملامحه الجميلة، وفي أناقته، ونظافته، وخلقه، ومسلكه، ولغته. كان بيتنا مقصدًا للزوار من الأصدقاء والأقارب، بعضهم يأتي من خارج القاهرة للإقامة معنا للدراسة بالجامعة لحين تدبير أموره، فأبي كبير العائلة والأولوية لبيته. لم يدر بخلدنا وقتها الأفكار الشيطانية التي ركبت الناس بعدها، لم يطرأ على ذهن أي من أفراد أسرتي الممتدة، الجدود والوالدين وإخوتي الشباب، فكرة كيف سيبيت عندنا الشبان ونحن ثلاث فتيات في الدار، لم يكن الهواء معبأ بالأفكار غير البريئة.

سألتُ أبلة عائشة التي كنت أحبها بشدة وأنا متأثرة تأثرًا شديدًا من حديث النار: "وحضرتك حتدخلي النار ليه؟"

fb/mashro3pdf

فأجابت: "ممكن مثلًا علشان بألبس نصف كم، أو مش باسمع كلام جوزي".

نزل عليَّ هذا التفسير كالصاعقة. ماذا؟ هل إنسانة فاضلة مخلصة كأبلة عائشة تدخل النار علشان نصف كم، وعدم سماع كلام الزوج؟

كان هذا هو أول عهدي بعدم أخذ ما يقوله أي شخص عن الدين كأمر مسلم به، أول عهدي بألا أومن إلا بما يعقله عقلي أنا، وليس عقل أي كائن من كان. منذ ذلك الحين وأنا لا أصدق أي تفسيرات دينية لا تدخل عقلي أنا. لا يمكن لعقلي وقلبي، بكل ما نشأت عليه، أن يصدقا أن إنسانة فاضلة تدخل النار علشان نصف كم وسماع كلام الزوج.

fb/mashro3pdf

كنت معها... هناك

كنت في الفناء الخلفي الملحق ببيت ابني في أمريكا وسط زهور البانسيه والداليا واللافندر التي زرعتها زوجة ابني احتفاءً بزيارتي، أجلس على الأرض على درجة بين مستويين في الفناء، وكانت تجلس إلى جواري حفيدتي التي لم تكمل العام ونصف العام.

في محاولة لنسج علاقة متينة معها أثناء فترة زيارتي، كنا نستمع معًا إلى الكثير من الأغنيات المصرية المناسبة لعمرها الصغير، وكان من بينها الليلة الكبيرة التي عشِقَتْها عشقًا خاصًا وكانت تصغي إليها مشدوهة مأخوذة.

fb/mashro3pdf

في الفناء، بدأتُ أغني لها وعيناي في عينيها الصافيتين الجميلتين: الليلة الليلة السيرك تعالوا دي فرجة تساوي جنيه قولوا هيه...

فإذا بها تفاجئني مرددة للمرة الأولى بصوتها العذب وبالنغمة الصحيحة: هيه.. هيه... هيه..

قالتها وهي تنظر في عيني نظرتها الجميلة الثابتة لتتأكد أنها على صواب.

تهلل قلبي.. لم أصدق استجابتها التي لم أتوقعها، فهذا رد فعل مبكر على عمرها..

أكملتُ وعيناي في عينيها: في السيرك شجيع يهجم ع السبع ويركب دوغري عليه قولوا هيه...

فأكملتْ وعيناها في عيني: هيه... هيه... هيه..

فأكملتُ: بمناسبة هذا المولد يوجد برنامج سواريه قولوا هيه...

فأكملتْ: هيه... هيه... هيه..

fb/mashro3pdf

تلك النظرة

نظرَتْ إليَّ نظرة أخذتني معها إلى النعيم..

هل يمكن أن يكون الموت بهذا الصفاء؟

كان ما عشناه معًا من أصفى ما حصلتْ عليه في الدنيا، كانت تستمتع بدعوتنا إلى بيتها، نحن زميلات العمل والصديقات المقربات، وقد أعدت لنا الولائم الشهية، فهي طاهية لا مثيل لها...

كتب عليها الشقاء الدائم، لم تختره، بل اختاره لها القدر بعد الوفاة المباغتة لزوجها الشاب المترجم الدولي تاركًا لها بنتين، وخمسة جنيهات في المحفظة كما قالت.

fb/mashro3pdf

لم يكن أمامها اختيار سوى الكفاح الدائم. الكفاح دون هوادة، رغم أنها ربما أرادت حياة الهوانم التي كانت تعيشها والدتها ابنة البك. ساعدتها خلفيتها التعليمية الجيدة في الحصول على وظائف لا بأس بها. عبرت بسفينتها وسط بحور هائجة، وكلما دنت من الشاطئ، فاجأتها موجة عاتية جديدة أعادتها إلى الوراء، فتبدأ الرحلة الشاقة من جديد، لم تصل إلى بر الأمان أبدًا..

كان العطاء سمتها.. العطاء غير المشروط، دون مقابل... أخذ الجميع عطاءها كأمر مسلم به.. ولكن من يمكنه تحمل ذلك إلى أبد الآبدين؟

وقعت صديقتي، نجت في المرة الأولى، ولكن الثانية باغتتها بسرعة، لم تنجُ هذه المرة.

زرتها وهي في العناية المركزة بعد أن أُنهك جسدها وبدأت أعضاؤها في التوقف عن العمل.

سعدتُ لأني وجدتُها واعية ومتقدة الذهن لا تزال رغم بطء في الكلام. فما أقسى أن أرى عزيزًا فاقدًا للوعي، غير متواصل معي، يخالجني وقتها شعور بأنني انتهكت حرمته واستبحته دون إذن منه.

نظرتْ إليَّ نظرة حب خالص صاف ستظل معي طوال حياتي، نظرة رائقة، وقالت لي: "بوسيني... بوسيني". كان اللقاء مؤلمًا لأنها كانت لا شك في النهاية.

ترددت هل أتحمل تكرار زيارتي الموجعة لها، أم لا. ثم تذكرت تلك

fb/mashro3pdf

النظرة المحبة الصافية فقررت أني لا بد أن أكرر زيارتي.. لا لأعطيها شيئًا، ولكن لكي أنعم بتلك النظرة مرة ثانية..

fb/mashro3pdf

بتحطي نفسك في مواقف بايخاااة!

كانت تسمع عنه، وعن علاقاته التي لا تستمر كثيرًا، الواحدة تلو الأخرى، لا يُشاهَد إلا وفي صحبته فتاة ما، وبالطبع لديه ما يلزم لذلك، فهو لا شك جذاب وطيب، ومن عائلة ميسورة مما يضفي عليه جاذبية إضافية في مجتمع أغلبه من الفقراء.

من ناحيتها، تعلمت أن تنأى بنفسها عن متعددي العلاقات من الرجال، تعرف أنها وهم كائنات مختلفة، فهم لا يحملون لأمثالها سوى الألم، لأنها ممن يبحثون عن العمق والاستمرار، ممن في الحب يتألمون وفي الفراق يتألمون. كما تعرف أنها بدورها لا تروق لهم، فجديتها بادية.

منذ عدة شهور، استمعت إليه في محاضرة. كان في صوته أسى لا

fb/mashro3pdf

تخطئه، أسى تعرفه وخبرته كثيرًا. لا شك أنه يمر بأزمة في حياته. تألمت له، ولكنها ظلت على حذرها و لم تقترب، وإن ظل صوته الجريح معها لبعض الوقت.

لم يكن ذلك سهلًا عليها لأنها – لأسباب نفسية دفينة – تنتابها حالة لا يمكنها التحكم فيها عندما ترى شخصًا ما يمر، أو يهيأ لها أنه يمر، بأزمة كبيرة. تنتابها رغبة عارمة في احتضانه، والتربيت على كتفه، في التعبير له – أو لها – أنها تشعر به وتتألم معه، في الشد على أزره والتأكيد أنه لا بد سيتغلب على أزمته ويخرج منها أقوى مما كان. كانت تفعل ذلك بحب وصدق حتى أن كثيرًا من الأصدقاء والمعارف أصبحوا يقصدونها قصدًا عندما يحتاجون لدعم من هذا النوع.

قابلته مرة ثانية بعد بضعة شهور، سألته على نحو عابر عن أحواله، فأخبرها بأنه أصيب بمرض سوف يلزمه بدرجة أو بأخرى طوال حياته.

وهنا رق له قلبها وانتابتها الحالة المذكورة، شعرت أنها لا بد أن تكون معه، أن يتحادثا، أن تشد من أزره. نسيت تمامًا كل حذرها، واندفعت تحدثه بشكل جريء على غير عادتها، طلبت منه أن يكونا صديقين وأن يجلسا معا ويتحادثا. فما كان منه إلا أن شرع يرسل الإشارة تلو الإشارة ليعبر لها عن رفضه.

انكمشت في داخلها من المفاجأة، و لم يسعها إلا أن تحدث نفسها قائلة: كبسة... تستاهلي.. بتحطي نفسك في مواقف بايخاااة...

fb/mashro3pdf

يو سبيك أرابيك؟

كانت في انتظار دورها لإجراء مسح على العظم للتأكد من خلوه من خلايا غير عادية بعد ظهور ورم في ثديها. ومن بين إجراءات هذا "المسح" شرب لتر من المياه والانتظار ساعة أو أكثر ثم عمل المسح. كانت تعرف ذلك، فأحضرت معها الكتاب الذي كانت تقرأه في هذه الفترة، وكان بالصدفة بالإنجليزية. وبينما هي منهمكة فيه انهماكًا شديدًا فوجئت بالجالس إلى جوارها يقول لها: "يو سبيك أرابيك؟" فالتفتت إليه لتجد رجلًا ريفيًا جاوز الستين في جلباب وطاقية. أذهلتها المفاجأة فضحكت ملء فيها، وضحك هو الآخر ضحكة تنم عن شخص شديد اللطف. عرفها بنفسه، محمود التوني والشهرة علي (أبو عزت)، من قرية تابعة

fb/mashro3pdf

لبني سويف. كان ناظرًا لمدرسة ابتدائية قبل التقاعد. تبادل معها بعض العبارات باللغة الإنجليزية الفلاحي الجميلة. قص بعض النوادر التي مر بها أثناء عمله. عرفت أنه جاء في صحبة زوجته الحاجّة لعمل "مسح" لشعورها بآلام في العظم لم تفلح معها العلاجات المتاحة في قريتها. وهنا ظهرت زوجته الحاجة التي تبين أنها كانت في دورة المياه للتخلص من الكثير من المياه التي شربتها هي أيضًا لإجراء هذا الفحص.

ظل الزوج يقص بعض القصص اللطيفة، وقال لها: "ما دام بتعرفي إنجليزي، طيب الصبح الناس بتقول جود مورننج، والظهر جود افتر نون، طيب بالليل يقولوا إيه لو ما كانش فيه قمر؟". طبعًا غلب حمارها من أول لحظة لأن هذا النوع من الفوازير أُلف لكي يرد صاحبها عليها. فقالت له: مش عارفة، قال: يقولوا "جود أفتر مون". انفجر كلاهما في ضحك هستيري، ليس لجمال النكتة-الفزورة، ولكن لأن كليهما احتاج بشدة التخفيف من وطأة اللحظة.

لا بد أن الحاجّة شعرت بفطرتها مدى الخوف الذي تخفيه صاحبتنا رغم هذا الضحك، فالأمر خطير، وهذا المسح هو بداية رحلة العلاج الشاقة التي سوف تتحدد تفاصيلها وفقًا لنتيجته.

نظرت إليها الحاجّة نظرة ملؤها الحكمة، وقالت في صوت حاسم ودافئ نزل عليها كما البلسم: "ماتصدقيش اللي بيتقال، الناس دايمًا بتكبّر الحاجات. حتلاقيها بسيطة إن شاء الله".

fb/mashro3pdf

تصريح الخروج

كانت تتلهف إلى العودة لبيتها بأسرع وقت ممكن، ولكن المستشفى كان مزدحمًا على نحو استثنائي مما أعاق إجراءات الخروج، رغم أنها، بسبب التأمين الصحي الذي توفره جهة عملها، كانت من القلة المحظوظة التي تتلقى العلاج في واحد من أكبر مستشفيات القاهرة. ذهبت أختها التي كانت ترافقها لتتعجل الإجراءات، ولا مناد. ذهب ابنها الذي هُرع إليها بعد عمله ليعود بها إلى المنزل، ولا مجيب. فبالإضافة إلى الازدحام، كان التراخي والبلادة باديين في سلوك العاملين بالمستشفى.

كان قد تقرر لها الخضوع لست جلسات علاج كيماوي بعد إجرائها عملية جراحية وإزالة ورم بالثدي. يقول الأطباء لا بد من النزول بجميع

fb/mashro3pdf

الأسلحة حتى نضمن – بعون الله – عدم عودة المرض. كانت هذه من المرات النادرة التي استمعت فيها صاغرة لما يقوله الأطباء. دائمًا ما كرهت الخضوع لآرائهم، ودائمًا ما رأت القصور الشديد في سبل العلاج التي يطرحونها وتخلق من المشكلات أكثر مما تصلح من الجسد. أما هذه المرة، فالعدو خبيث، لا يمكنها إلا الانصياع صاغرة مستسلمة لما يراه الأطباء المطلعون على أحدث التجارب التي تمنع عودة هذا اللعين بأي ثمن.

جاء موعد الجلسة الأولى، لم تنم ليلتها من القلق، فدائمًا ما كانت سيرة الخضوع للعلاج الكيماوي مرعبة كرعب المرض نفسه. لم تكن تعلم متى ستبدأ الأعراض التي تسمع عنها، هل أثناء الجلسة؟ هل بعدها مباشرة أم بعد عدة ساعات؟ كانت قد تحسبت لذلك فأخذت معها بعضًا من حبات الليمون البنزهير ربما قللت من شعورها بالغثيان المتوقع، وغطاء للرأس لربما بدأ شعرها في السقوط فورًا. على أية حال لم تبدأ الأعراض إلا بعد عدة ساعات، ومرت الجلسة نفسها بسلام، ولكن البطء الشديد في إجراءات الخروج جثم على صدرها المتعب.

بعد نفاد صبرها، قررت أن تتولى هي الأمر. ذهبت إلى مكان الممرضات راسمة على وجهها وفي مشيتها ضعفًا لا تشعر به بعد، وقالت لهن في صوت واهن: "حرام عليكم، أنا واخدة كيماوي، وعاوزة لما تبدأ أعراضه أكون في بيتي". تأثرت الممرضة تأثرًا شديدًا، وهاتفت المسؤول عن التأخير وقرَّعته على البطء، وأنهوا ما كان يعيق الخروج.

عادت إلى حجرتها في مشية تدعي بها ضعفًا لا تشعره بعد. أشفقت

fb/mashro3pdf

على ابنها الذي كان يسير خلفها حزينًا فزعًا لما رآه من وهن أمه، فما إن دخلا الغرفة حتى نظرت إليه نظرة كلها خبث ومرح طفولي وهمست له: "شفتني وأنا باتمسكن بالكيماوي؟"

تنفس ابنها الصعداء وضحك وقال لها: "أيوه كده...".

fb/mashro3pdf

غطاء الرأس

عاد ابنها من عمله وحاول فتح باب الشقة بالمفتاح كعادته كل مساء، ولكن الباب كان موصدًا من الداخل هذه المرة.

استغرق الأمر بعض الوقت حتى فتحت له أمه، كان عليها إحكام وضع غطاء الرأس قبل فتح الباب.

كانت أمه تخضع للعلاج الكيميائي، وكان من أقسى مراحل رحلة المرض هذه عندما علمت أن نوع الكيماوي الذي ستُعالج به سيتسبب في سقوط شعرها. ظلت تتمنى أن تحدث معجزة ولا تمر بهذه التجربة المؤلمة. هي الحريصة على مظهرها حرصًا كبيرًا، هي ذات الحساسية المعروفة تجاه شكلها. كان الأمر جد شاق عليها.. لم تعرف كيف تتحمله.

fb/mashro3pdf

ولكن آه من قدرة البشر على التغلب على الصعاب ورغبتهم في مواصلة الحياة. تراءى لها أن الأمر لا شك سيكون أخف وطأة إذا لم تسجل صورتها بعد سقوط شعرها في ذهنها أو ذهن أي كائن آخر. قررت ألا ترى نفسها مطلقًا أو تسمح لمخلوق برؤيتها أثناء هذه الفترة دون غطاء الرأس أبدًا. لم ترد أن تُسجل هذه اللقطة الكئيبة في عقلها أو عقل أي مخلوق.

قبل سقوط الشعر، اشترت عدة أوشحة للرأس، ظلت تجربها حتى توصلت لعقدة سهلة ومتينة في آن واحد. كانت عقدة جميلة ظن من لا يعرفون ما تمر به أنها تضعها استكمالًا للأناقة. نفذت قرارها هي وابنها تنفيذًا صارمًا. كانت لا تنهض من سريرها قبل وضع الغطاء على رأسها. لا تخرج من غرفتها مطلقًا دونه، لا تنظر في المرآة أبدًا قبل تثبيته، ممنوع على ابنها الدخول عليها دون التأكد من سماحها له بذلك. لم تحدث غلطة واحدة إذ إن ابنها أراد بنفس الدرجة ألا يرى أمه دون غطاء الرأس.

فتحت له الباب وهي تقول مازحة: "معلش، أنا بس كنت باخبي الراجل تحت السرير، اوعى تفتكر أي حاجة تانية"... ضحك ابنها وهو يقول: "ما أنا عارف طبعًا، أمال حيكون إيه يعني؟".

fb/mashro3pdf

صوت السشوار

بعد اختفائه لشهور طويلة قاربت على العام، استيقظ ابنها من جديد على صوت السشوار، كان الأمر مختلفًا تمامًا هذه المرة ، لم يكن صوته مزعجًا أبدًا، بل كان إيذانًا بنهاية كابوس وعودة الحياة إلى طبيعتها.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها السشوار بعد عودة شعرها... بعد سقوطه الكئيب بسبب العلاج الكيميائي.

كانت تجفف شعرها القصير بالسشوار عندما استيقظ ابنها، لم يغضب ولم ينزعج، بل فرح فرحة غامرة، جاء إليها مسرعًا من غرفته، احتضنها، وقبَّلها، وقال لها في بهجة: "سشوار وبتاع، مبروك يا سوسو".

fb/mashro3pdf

أنا باحب الكمساري

أضع تذكرة المترو في الماكينة... فتفتح ذراعها وتعديني..... بس أنا باحب الكمساري...

وإذا كانت التذكرة تالفة، تصفر الماكينة ولا تفتح ذراعها ولا تعديني..... بس أنا باحب الكمساري.

الكمساري ساعات يكون رايق ويغازل الراكبات غزلًا عفيفًا جميلًا، وساعات يكون غلس وينكد على الركاب، وساعات ياكل الشلنات الباقية ويخلي الواحد يتغاظ (مش عشان الشلن...عشان المبدأ نفسه!)، وساعات ياخد دور الأخ الغيور ويوقفني بعيدًا عن الركاب الذين هم

fb/mashro3pdf

ذئاب، وساعات يحذرني بنظرة بعينيه في عينيَّ ثم إلى الشنطة بأن ثمة من ينوي أن يسرقني، وساعات يصعب عليه العيال وما يقطعلهمش تذاكر، وساعات يكون رايق قوي ويحوِّل الأتوبيس لقهوة فيها الكل هايص...

كل ده يروح، وتيجي ماكينة أحط فيها التذكرة تفتح ذراعها وتعديني.....لأ... أنا باحب الكمساري.

fb/mashro3pdf

الناس النُص نُص

أفتح الجرنال.. ألاقي الناس النص نص،
أفتح التليفزيون... ألاقي الناس النص نص،
أروح الشغل... ألاقي المديرين النص نص،
أروح معرض... ألاقي الفنانين النص نص،
لكن خارج الأضواء والسلطة ألاقي ناس مش نص نص،
هو ليه في بلدنا النص نص جوه، واللي مش نص نص بره؟

الحكاية ببساطة إنه لما يكون رأس الدولة نص نص، لازم يجيب رئيس

fb/mashro3pdf

وزراء نص نص، ورئيس الوزراء النص نص، يجيب وزراء نص نص، والوزراء النص نص يجيبوا وكلاء نص نص.. وهكذا.

وبعدين دول يعجبوا بفنانين نص نص، وكتاب نص نص، ويصدروا قرارات نص نص، ويفرضوا علينا ذوقهم النص نص، نلاقي عيشتنا بقت نص نص في نص نص.

fb/mashro3pdf

حادث تصادم

وقع لها حادث تصادم وهي في ربيعها الثامن عشر، اصطدمت بهذه الشخصية الجبارة الضعيفة، الرقيقة الفظة المعقدة. تحملت تبعات هذا التصادم طيلة حياتها.. تحملت ما سببه لها من عثرات وآلام.. ولكنها كانت بعد كل عثرة تقوم أقوى مما كانت، فإذا كانت مدينة لهذه الشخصية بشيء، فهو أن جبروتها علمها التحدي، وصعوبتها علمتها الحكمة.

fb/mashro3pdf

الإسورة والطوق

ما إن لبست الإسورة –الشبكة– حتى انزاح أحد الأطواق التي كانت تحيط برقبة والدها، وبقي الطوقان الآخران.. أختاها الأصغر.

ولما أصبحت خلافاتها مع صاحب الإسورة بادية للعيان، لم تجرؤ على إعادة الطوق إلى رقبة أبيها الطيب. كان لا بد لها – بحسابات سنها – أن تستكمل المسيرة.

لم يكن شعور والدها بالراحة مصدره أنها فتاة مزعجة، بل لأنها فتاة فحسب.. فهي طوق في رقبة الوالد، أو من ينوب عنه، لحين تسليمها – حتى إن بدا الأمر طواعية منها – إلى الآخر.

fb/mashro3pdf

أبوها طيب ومتفتح، ولكن كان هناك هذا البث غير المعلن، هذا البث الذي تلتقطه جيدًا برادارتها، والذي يشل قدرتها على الحركة في كثير من الأحيان، هذا البث المستتر الذي له الأثر الأقوى في جميع علاقاتنا، والذي كثيرًا ما يكون في اتجاه مناقض تمامًا لما نعلنه.

كان البث في اتجاه واحد: أن أكملي المسيرة، فباب التراجع موصد تمامًا.

fb/mashro3pdf

عبودية

تدور بنظرها في أرجاء بيتها الذي صارت تتحين الفرصة لمغادرته.. لم تعد قادرة على مواصلة حياتها مع من اختارته قبل أن تبلغ ربيعها الثامن عشر.. نعم أحبته، أحبت الفنان الواعد المبهر لمراهقة صغيرة، أحبت الوعد بحياة شيقة تنهل فيها من شتى أنواع الثقافة والفنون، حياة بعيدة كل البعد عن خلفيتها التقليدية التي كانت في هذه المرحلة ثائرة عليها، وهي أحلام لم يتحقق منها شيء البته.

تجول بعينيها في أنحاء المنزل المرتب النظيف، هذه الثلاجة.. ياه تتذكر كيف تمكنوا من الحصول عليها بتقسيط ثمنها على عام، وهذه الغسالة الآلية، لم يكن تقسيط ثمنها متاحًا فاشتركت في "جمعية" من وراء زوجها

fb/mashro3pdf

لأن مفاجأته بالأمر الواقع كانت أهون من إقناعه.. وهذا السخان.. كانت فرحة كبيرة عندما حصلوا عليه وتخلصوا من مشقة تسخين المياه على الموقد في المطبخ ثم نقلها إلى الحمام، وهذان المقعدان ذوا الطراز العربي اللذان تحبهما، وهذا المطبخ المزين برسوم على الزجاج، وهذا.. وهذا. هل يمكنها ترك كل ذلك والبدء من جديد؟ كيف يمكنها الحصول على مثل هذه الأشياء مرة ثانية؟ لقد حصلوا على كل قطعة منها بشق الأنفس، من أين ستحصل عليها مجددًا؟

ولكن هل نترك الأشياء تستعبدنا؟ كيف أصبحنا لا نتخيل حياتنا بدون تلك الأصنام رغم أن البشر عاشوا آلاف السنين بدونها. زيجات تتعثر لصعوبة توفيرها، وأزواج يعيشون حياة بائسة لا يستطيعون الفكاك منها لعدم قدرتهم على توفيرها مرة ثانية. كيف أصبحنا نقدر الأشخاص بمقدار ما يملكونه منها.

(في لحظة قررت أنها لن تكون عبدة لهذه الأصنام مهما كلفها ذلك، ستبدأ من جديد دون شيء على الإطلاق، لن تكون عبدة لأي شيء، في لحظة انتفضت، صاحت: لا... حريتي... إرادتي.. فلتسقط العبودية، وليحيا وابور الجاز.)

fb/mashro3pdf

من زوج محب إلى زوجته البائسة

أكره عقلك

أكره تفكيرك

أكره مشاعرك

أكره أصدقاءك

أكره أسرتك

أكره كل من تحبينهم

أكره إشفاقك

fb/mashro3pdf

أكره سرورك

أكره حزنك

أكره أساكِ

أكره مخاوفك

أكره نجاحك

أكره استقلالك

ولكني أحبك ولا حياة لي بدونك.

fb/mashro3pdf

شرفتِ يا هانم

بعد انفصال دام قرابة العامين، قررت أن تكمل الوضع إلى طلاق رسمي، هي بادئته. هي التي رأت أن حياتهما معًا أصبحت مستحيلة، هو لم ير ذلك، هي التي رأت أنه أصبح عجوزًا لا حيلة له سوى الامتعاض والنقمة، هو لم ير ذلك، هي التي رأت أنهما يختلفان في كافة المواضيع والمواقف التي تخرج عن دائرة الحياة اليومية الضيقة، هو لم ير ذلك، هي التي رأت أن حياتهما تخلو من الألفة المتبادلة الضرورية للاستمرار، هو لم ير ذلك.

تواعدت مع أخويها أن يتقابلوا في الثامنة مساء في مكتب المأذون ليتموا إجراءات الطلاق. أخواها شديدا التدين، التدين الحقيقي الطيب

fb/mashro3pdf

وليس الزائف القاسي، كانا يدعمانها في قرارها لأنهما يريان أنها شخصية ناضجة ومسؤولة ولن تتخذ خطوة كهذه دون أسباب، وهو ما لم يفهمه زوجها الذي تمنى في لحظة من صراعهما أن "تجبرها" أسرتها المتدينة على مواصلة الحياة معه.. ولا تعليق.

تقابلوا جميعًا عند المأذون، وأنهوا الإجراءات بسلاسة وهدوء، ثم وقع هو أمام "المطلق"، وهي أمام "المطلقة".

نظر إليها المأذون بامتعاض وقال لها "شرفتِ يا هانم"، وصافح الجميع ما عدا هي..

كان المأذون هو أول من تعامل معها على أنها "ست" مطلقة غير جديرة بالاحترام.

fb/mashro3pdf

لذاذة الستات

بعد يومين اثنين من إتمام إجراءات الطلاق، احتاجت "المطلقة" إلى صورة من قسيمة الزواج لإنهاء إجراء يتعلق بنقل التليفون.

هُرعتْ إلى مكتب المأذون في غير مواعيد العمل لتلحق بالقسيمة قبل إرسالها إلى الجهة الإدارية المختصة بإثبات الطلاق. البيت يسكنه أولاد المأذون الأب الذين يباشرون العمل في المكتب بنين وبنات. المكتب مغلق ولكن بجوار الباب جرس مكتوب عليه "اضغط هنا"، فضغطت.. رن الجرس في شقة ما في أحد الأدوار العليا بالمبنى.

ردت عليها سيدة من أعلى – علمت في ما بعد أنها أخت المأذون

fb/mashro3pdf

الذي باشر إجراءات الطلاق – فأخبرتها باحتياجها لصورة القسيمة.. فنزلت السيدة من الشقة وفتحت المكتب.

تأكدت أخت المأذون من صحة أقوالها، فأرسلت القسيمة لتصويرها خارج المكتب. وفي انتظار الصورة تحادثتا كسرًا للتوتر.

بدأتا بسؤال بعضهما البعض عما درستاه، وماذا تعملان، ثم تطرقتا رويدا رويدا إلى كثير من الأمور التي تجمع بين بني البشر.

لم تعر أخت المأذون أي اهتمام بموضوع الطلاق ذاته، بل تعاملت معه كشأن من شؤون الحياة.

عرفتا كم من الأولاد والأخوات لدى كل منهما، وفي أي كلية يدرس الأولاد. ولأنهما من نفس المرحلة العمرية تقريبًا، شَغَلَ موضوع رعاية الوالدين حيزًا من حوارهما، فتبادلتا الخبرات حوله، وحول كيفية العناية بهما إلى جانب أعباء الأولاد الكبيرة.

تغير المشهد أمامها تمامًا. بددت أخت المأذون بحديثها وذكائها وواقعيتها كآبة المكان التي شعرتْ بها عندما كان أخوها المأذون يقوم بإجراءات الطلاق.

وصلت القسيمة والصورة، فتمنت أخت المأذون أن يعوض الله عليها بزوج أفضل منه، وتصافحتا وشكرتا الفرصة السعيدة.

أخذت صورة القسيمة، وغادرت المكان في صفاء ما كان ليحدث لها لو أن الذي قام بهذه المهمة هو أخوها المأذون.

fb/mashro3pdf

٦ أقر وأعترف

أقر وأعترف أني في محاولتي لتوضيح أسباب انفصالي قد كشفت ستر إنسان. أقر وأعترف أني لكي أبرر ما أنا مقدمة عليه، وأبني تعاطفًا مع موقفي انتهكت حرمة الآخر..

هو الحريص حرصًا مضنيًا على خصوصيته.. على حرمته... هو الذي لا يسمح بالاقتراب، لا يقيم علاقة وثيقة مع مخلوق مهما كان... يظهر للآخرين بقدر ما يريد فحسب.. صدقًا كان أم تضليلًا.

تمسك بها كالجحيم عندما بادرت بالرغبة في الانفصال. كانت حواراتهما في البداية لا تخرج كثيرًا عنهما.. ضغط، تمسك، أغلق أمامها – بدهاء يحسد عليه– جميع السبل التي تمكنها من تركه.

fb/mashro3pdf

هذا الضغط الشديد الذي مورس عليها لسنوات طويلة هو ما يغفر لها أنها لم تجد بدًا – دون قصد أو تدبير – من كشف ستره.. كشف عيوبه التي يداريها... نقاط ضعفه.. أنانيته.. افتقاده للقدرة على حب الآخر.. أي آخر.

الآن بعد أن بعدت تلك الفترة تتمنى لو أنها كانت أقوى و لم تفعل. فله كل الحق في أن يحيط نفسه بسياج من الفولاذ هي الوحيدة التي اخترقته بحكم سنين العشرة الطويلة.

كان من النبل ألا تستغل معرفتها الوثيقة بنقاط ضعفه. تتمنى لو أنها لم تزد على: "لم أعد أحبه، لم أعد أرغب في الحياة معه". ولكن في مجتمع يرى الحب رفاهية... ننساق لتقديم المبرر تلو الآخر حتى يقتنعوا.... ويا ليتها ما انساقت.

fb/mashro3pdf

٧ عودة المارد إلى القمقم

ظلت صديقتي تكرر لي في صوت يائس: "صدقيني، عودي إلى زوجك ففي انتظارك وحدة كئيبة، وهو لا يزال يريدك وحريص على استعادتك".

ماذا؟ هل بعد كل هذا النمو والانطلاق الذي أعيشه بعد انفصالي يمكن أن تصدر هذه النصيحة عن أي عاقل؟ إن أقل ما أشعر به هو أنني كالمارد الذي كان حبيس قمقم قرابة ربع قرن، واستطاع بالعذاب وبألم الميلاد الجديد أن يخرج من القمقم الذي كان مطبقًا على أنفاسه.

أعرف أن في انتظاري وحدة تنوء بها الجبال، ولكنني أعرف أيضًا منذ

fb/mashro3pdf

بدأت (رحلة اكتشاف الذات) في منتصف عمري أنه يتعين علينا دائمًا أن نختار أي مرارة يمكننا تحملها، وأنا قد حسمت أن مرارة الوحدة أرحم مائة مرة من مرارة الأسر في قمقم بات ضيقًا عليَّ.

كانت صديقتي أيضًا قد طُلقت في فترة متزامنة مع طلاقي، ولكنها كانت تتمنى أن يعود زوجها، يعود ويسير وفقًا لما تريد. كان هناك تماس ما بين علاقتها بزوجها وعلاقتي بزوجي، ولكن مع تبادل الأدوار، فكانت هي الطرف السائد في العلاقة، هي الطرف الذي يحاسب ويقرع، وكان زوجها هو الذي فاض به الكيل وثار.

طالما أثار موقفها وموقف زوجي في رأسي الكثير من التساؤلات حول القوة والضعف، من القوي ومن الضعيف في علاقة ما؟ هل المسيطر عالي الصوت هو القوي؟ لماذا غالبًا ما يتهاوى "القوي" ويصمد "الضعيف" عند الانفصال.

أدركت أنها تحدث زوجها في صورتي، فإذا كان زوجها يشعر بمثل ما أشعر به، فهو قطعًا لن يعود، لن يعود يا حبيبتي.

fb/mashro3pdf

الربيع والقمر

بعد زيارتها الروتينية لوالدتها المسنة، اشترت بعض لوازم بيتها.. بعضًا من اللحم، والموز الذي طلبه ابنها.

أوقفت تاكسيًا، وضعت المشتريات وجلست، كان الوقت ربيعًا والقمر بدرًا، شعرت أنهما، الربيع والقمر، تآمرا على وحدتها. في الربيع وفي الليالي القمرية تحتاج إلى قوة مضاعفة لتستمر في سياستها من عدم الدخول في علاقات مع آخر، إلا إذا حالفها الحظ وقابلت "الآخر" الذي تنتظره والذي باتت على يقين بأنها لن تجده، ولكنها – للاحتياط – تدخر نفسها له، له وحده، فقد تحدث المعجزة وتجده، أو على الأقل تكون قد صانت نفسها من عبث العابثين رغم الوحدة.

fb/mashro3pdf

الربيع والقمر تآمرا عليها. نظرت من نافذة التاكسي فإذا برجل ملتح – لحية غير إسلامية – في سيارة جميلة ينظر إليها، نظرت إليه نظرة واحدًة، لا تعرف كيف قرأ فيها عطشها، أو ربما كان الربيع والقمر قد فعلا فعلهما فيه هو الآخر. لم تنظر إليه ثانية – بشكل ظاهر على الأقل – فهي سيدة محترمة ويجب أن تكمل حياتها سيدة محترمة.

آه من الربيع والقمر، يعذبانها... تابعها بسيارته بشكل واضح، يسرع حين يسرع التاكسي، ويبطئ حين يبطئ. سعدت بملاحقته، وتعست بها. كانت تأكيدًا على أنها لا تزال جذابة، لا تزال مرغوبة رغم بلوغها الخامسة والأربعين، تمنت لو استطاعت أن تنزل من التاكسي وتذهب لهذا الملاحق الجميل، تذكرت "يتمنعن وهن راغبات"، نعم تتمنع وهي راغبة، الربيع والقمر لا يقاومان.

أمرت التاكسي أن ينحرف يسارًا، انحرف بسيارته خلفه، نزلت، سارت في طريقها الطبيعي عكس اتجاه السيارات مما منع الملاحق من استكمال الملاحقة. عبرت الطريق حزينة على وحدتها وافتقادها إلى الشريك. ركبت الميكروباس لتكمل الرحلة إلى بيتها البعيد.

وصلت.. سألها ابنها: هل أحضرت الموز؟

– آخ.. نسيته في التاكسي!!

fb/mashro3pdf

الحلو ما يكملش

جاءها من وراء ظهرها وانحنى انحناءة بسيطة وقال لها شبه هامس: "يا خسارة.. الحلو ما يكملش".

تظاهرت بعدم الفهم، وبأن هذه الجملة ما هي إلا من باب الألغاز التي يهوى طرحها. ولكنها تعرف أنها أبدًا لم تكن كذلك.

كانت تقف في أعلى مكان في بيروت أمام كنيسة حريصا التي تطل على بيروت كلها، المنظر رائع. كانت دموعها تنهمر بغزارة في هذا اليوم وهي تفكر في صديقة عمرها التي تركتها بالقاهرة مع المرض الذي لن يمهلها سوى شهور قليلة، وكانت تبكي أيضًا على وحدتها التي تجدد شعورها بها بعد أن لاح أمل التلاقي ولو للحظات قليلة.

fb/mashro3pdf

في هذه المناسبة، التي سافرت من أجلها مع بعض الزملاء إلى بيروت، قابلته، انجذبا لبعضهما بشكل واضح. ولكنها بعد أن استعادت ما سمعته عنه، عن شدة تدينه وميوله المحافظة، علمت أن البون بينهما شاسع، فهي على العكس تمامًا من خلفية يسارية. لم تشأ له أن يظن – كما تراءى لها وقتها – أنها المرأة التي يبحث عنها، شعرت أنه يجب أن يعرف فورًا أنهما مختلفان تمامًا.

في أول نزهة جماعية جلس –بالقصد– إلى جوارها، تصنعت عدم الاهتمام. ثم جاء النادل فطلبت –بالقصد– بيرة، فهذا من شأنه أن يقول كل ما تريده دون كلام. بوغت هو وألجمته المفاجأة لثوان، كانوا يتحدثون إليه وكان بادي الاضطراب، تمالك نفسه بعد برهةٍ وعلق مازحًا: "من ساعة ما طلبتِ بيرة وأنا رُكبي بتخبط في بعضها". لم يكن يعلم كم كانت حزينة، فلا شك أنها منجذبة إليه، ولكن كان لا بد من قطع الطريق بسرعة، فالطريق أمامهما موصد.

كان كلامه بعد واقعة البيرة لا يتسم بالجدية، يتعمد أن يبدو كلامه كالألغاز، لم تكن تعرف إن كان جادًا أم مازحًا. قالت له: "بطّل ألغاز واتكلم جد بقى". قال لها: "طيب النهارده حاتكلم جد".

في ذلك المساء جاءها من وراء ظهرها وهي تبكي فوق الربوة المشرفة على بيروت وقال لها: "ياخسارة الحلو ما يكملش". فرددت في عقلها في حزن: "فعلًا... الحلو ما يكملش".

fb/mashro3pdf

هدى صاحبتي اتجوزت

تجددت علاقتي بهدى عندما قابلتُها بالمصادفة في طريقها لشراء خبز لوالدتها. كنتُ قد التقيتُ بها مرات قليلة منذ تخرجنا في نفس الكلية، مرة علمتُ فيها بنبأ زواجها، ومرة بحصولها على شهادة الدكتوراة، وهذه المرة، التي كانت تشتري فيها الخبز لوالدتها، علمت فيها بنبأ طلاقها.

كان الطلاق قد تم منذ نحو العامين. حكت لي هدى كيف كان وقعه شديدًا عليها، وكيف فاجأها زوجها برغبته في الطلاق دون سابق إنذار. كانا، كما تقول، يعيشان حياة كان يمكن لها، بحساباتها هي، أن تستمر.

fb/mashro3pdf

عادت إلى منزل الأسرة لتغرق نفسها في العمل حتى يمكنها تحمل وحدتها التي فُرضت عليها فرضًا، والتي لم تكن أبدًا لتختارها طواعية. حكت لي كيف أن الألم كان فوق احتمالها حتى إنها لجأت في البداية للعلاج النفسي ليعينها على تحمله.

ولكن بمرور الوقت التأمت جروحها، وبدأت تتألق، ثم – لدهشتها – تستمتع بوحدتها وبالهدوء والسكينة اللتين توفرهما لها.. وفي تلك الفترة قابلتها وهي تشتري الخبز لوالدتها.

بدأنا صفحة جديدة في علاقتنا أكثر قربًا، صارت بيننا لقاءات نقضي فيها أوقاتًا جميلة نستمع إلى الموسيقى ونتحدث عن آخر ما قرأناه وشاهدناه، وآخر تطورات عملنا. وكانت تقص عليَّ أيضًا قصة آخر عريس تقدم لها مضيفة إلى القصة شقاوة لا ينبئ بها مظهرها الجاد أبدًا.

بعد انقطاع نسبي بسبب ازدحام كل منا بالعمل، اتصلتُ بها فقالت لي والدتها إنها تزوجت وأعطتني رقم تليفونها الجديد.

سارعتُ بطلبها للمباركة وتمني حياة سعيدة لها متوقعة أن أجدها فرحة مبتهجة، فإذا بصوتها يأتي متلعثمًا خافتًا، بعيدًا خائفًا، كما لو كانت تتحدث من خلف جدار، جدار أعرفه جيدًا، جدار الزوج الذي كان لا بد بجوارها كالحارس الأمين ليتأكد ويتحقق من كل شاردة وواردة تتعلق بأمته الدكتورة، جاء صوتها منزوع الإرادة، منزوع الروح.

عرفتُ حينئذ أن هدى صاحبتي فعلًا "اتجوزت".

fb/mashro3pdf

هذا الأفاق صنيعتي

تتابع سيرته، أخباره، آخر ما سطا عليه من أعمال الآخرين، آخر ما ذيله باسمه دون وجه حق، آخر أخبار تأفيقه وكذبه وادعائه. هو من القليلين الذين لم تنجح في إيجاد زاوية مضيئة يمكنها أن تنفذ منها بحبها له، وهو ما تنجح فيه عادة.

كان اختيارها، بعد تبينها مدى قبحه وإفكه ومدى حماقة وعمى المسؤول الكبير في محل العمل، هو أن تنسحب وتقلص النطاق الذي تتحرك فيه تاركة له الساحة كاملة. حول المسؤول إلى "يويو" دون جهد كبير، وكان بإمكانها أن تفعل ذلك لو أرادت إذ كان هذا المسؤول بالمصادفة يحبها كامرأة.

fb/mashro3pdf

نأت بنفسها تمامًا عن إفك الأفاق الأول، وأطماع الأحمق الثاني. تركت له الساحة يعيث فيها منتظرة قوى خارجها أن تطيح به. لا بد ستأتي إدارة أخرى، لا بد سيأتي مسؤول آخر، لا بد سيظهر الحق، لا يمكن أن يُترَك هذا الأفاق حتى النهاية، شيء ما لا بد أن يحدث.

وبالفعل حدث شيء ما.. رُشِح هذا الأفاق – أو بالأحرى استطاع أن يقتنص لنفسه فرصة أفضل، وسافر في دراسة، واعتلى واعتلى. رحل من المكان مرفوع الهامة، وليس كما ظنت أنه حتمًا سيرحل مكشوفًا مفضوحًا.

تحول إلى أفاق دولي، يضع اسمه على الأبحاث التي يكتبها غيره.بمنتهى البساطة، يذيل اسمه بلقب من الألقاب التي عرف من خلال وظيفته أنها رنانة مثل الوطني، الديمقراطي، المدافع، الناشط...

الآن فقط تدرك كيف أن اختيارها ترك الساحة له كان جبنًا شديدًا ولا مبدئية مطلقة.. هذا الأفاق صنيعتي، صنيعة المبادئ التي أتشدق بها، صنيعة الترفع الذي أستمتع بأن أوصف به، صنيعة ضعفي الذي أغلفه بقيم سامية ومثل رفيعة، هذا الأفاق صنيعة هروبي من المواجهة، هذا الأفاق صنيعتي... صنيعتي.

fb/mashro3pdf

في الطريق إلى دهب

كانت في طريقها إلى مدينة دهب الساحرة. كانت هذه الرحلة هي هديتها إلى نفسها في عيد ميلادها، لم تكن هي المرة الأولى التي تذهب فيها إلى هذه المدينة الجميلة، ولكنها المرة الأولى التي تذهب إليها وهي تقود سيارتها الجديدة بنفسها عقب تعلمها القيادة بعد أن جاوزت الخمسين.

كان ابنها الأكبر قد سافر لتوه إلى الولايات المتحدة مع زوجته الأمريكية ليجربا حظهما هناك، سافر بنية الاستقرار، سافر دون عقد عمل، حاملاً معه الأمل فقط. الأمل في أن وجوده هناك، كما قيل له، سيسهل عليه البحث عن عمل. لم يكن يعلم ما ينتظره، و لم تكن هي تعلم متى ستراه ثانية وهي التي لم تفترق عنه قط. لم ترد أن تكون حجر عثرة أمام سعادته

fb/mashro3pdf

ونجاحه. تركته يقرر ما يريد دون ضغط منها، وعليها هي معالجة ألمها.

بدأت الرحلة ومعها زادها من الموسيقى التي ترافقها في كل سفرياتها، من أم كلثوم وعبد الوهاب، إلى فيروز وأسمهان، وحتى حكيم وعدوية، وبعض من الموسيقى الكلاسيك.

في وسط جبال سيناء الرائعة، تصعد أحد التلال وتفكر في ابنها وتبكي وتقول لنفسها لا بد أنه سيكون على ما يرام فهو كفء ويجيد أكثر من مهنة. أخذت تغني مع الكاسيت، وتنفث زفرات في الهواء وتمسح دموعها وتردد: سيكون على ما يرام... سيكون على ما يرام.

كان ابنها الأصغر على وشك الاندفاع في زيجة لا تناسبه فور خروجه من قصة حب آلمته استمرت أكثر من عامين. كانت الفتاة من خلفية تختلف عنهم كثيرًا، أهلها غير متعلمين، ويقطنون في حي شديد التواضع. كان صوت ابنها جريحًا حائرًا، يحاول إقناعها، وإقناع نفسه، بأن افتقار أسرة الفتاة للتعليم ليس عيبًا، ويكفيهم أنهم علّموا ابنتهم تعليمًا جيدًا. كان يلومها على تناقض موقفها مع المبادئ التي نشّأته عليها، ماذا تقول له، هل هي فعلًا تدعي قيمًا لا تؤمن بها، هل هذا الموقف اختبار حقيقي لصدق ما تدعيه؟

كانت تنزل بالسيارة من فوق أحد التلال، تنظر إلى الأفق من علٍ وتفكر في ابنها وتبكي وتؤكد لنفسها أنه لا بد سيتخذ القرار السليم، ولا بد سيجد حبه الحقيقي يومًا. تعرف أن الألم فوق احتماله في هذه الفترة من حياته، ولكنها تعرف أيضًا أن كل ما يمر به يصقله وينضجه، أخذت تمسح

fb/mashro3pdf

دموعها وتردد: سيكون على ما يرام... سيكون على ما يرام.

بدأت الشمس تميل وتصبغ الجبال باللون الأحمر البرتقالي، تحب هذه اللحظات وتتمنى أن يطول أمدها، مرقت بسيارتها وسط مجموعة من الجبال، وأخذت تفكر في ما فعلته بنفسها، كيف ارتضت أن تكون على هامش حياة شخص آخر، كيف قبلت أن تكون الزوجة الثانية، كانت تأمل في قليل من الحب، فإذا بها تجد أنه لا مكان كريمًا لها في حياته. كانت هذه الرحلة هي القشة التي قصمت ظهر البعير، إذ كان من المفترض أن يكون فيها معها، ولكنه كالعادة وجد من الحجج ما يمنعه. أصرت هذه المرة على الطلاق، أنهت العلاقة في اليوم السابق لانطلاقها في هذه الرحلة. تعرف أنها لا تزال تحبه، ولكن يجب أن تنجو بنفسها قبل فوات الأوان، الآن أفضل من الغد.

مرت على مجموعة من الجبال متعددة الألوان، الأخضر والبرتقالي والتيركواز، كان الطقس بديعًا، فتحت زجاج سيارتها ورفعت صوت الموسيقى الآتية من الكاسيت وأخذت تغني معها بصوت مرتفع، وكلما ارتفع صوتها، شعرت بحرية، حرية وخلاص.. كانت تنفث ما بداخلها في الهواء الطلق، في الكون الواسع الرحيم، ظلت تغني وتغني حتى انزاحت الأثقال الجاثمة على صدرها، مسحت دموعها وأخذت تردد: سأكون على ما يرام... أنا على ثقة أنني سأكون على ما يرام.

fb/mashro3pdf

عذرًا يا ولدي

عندما حان موعد زواج ابنها العزيز الأصغر وانتقاله إلى بيته الجديد، لا تدري لمَ لم تتأثر كثيرًا، أحزنه هذا التقبل البارد، وأحزنها هي أيضًا فهي لم تكن كذلك أبدًا، ماذا جرى لها؟ حبها الشديد لابنها لا يتطرق إليه الشك، بل لقد توطدت علاقتها بابنها هذا أكثر أثناء مرضها الخطير الذي نجت منه قبل زواجه بثلاثة أعوام، ما فعله من أجلها غير متصور، أشعرها برقته وعذوبته أنها تملك خاتم سليمان... ما إن تطلب الشيء حتى يجيبه فورًا، أي خدمة.. أي طلب.. هذا إلى جانب انتظامه في عمله الذي لم ينقطع عنه تقريبًا. كان لا شك حزينًا لمرض أمه الذي باغت الجميع، وهي التي تبدو كما شجيع السيما، الكبيرة، القوية،

fb/mashro3pdf

القادرة، المتحدية، المبتهجة بالحياة.. كان خبر مرضها صادمًا لكل من يعرفونها.. وكانت علاقتهما في هذه الفترة من أجمل ما يمكن، كل منهما يعمل ما في وسعه لعدم إرهاق الآخر، هي من جانبها تطلب منه أن يستريح ويذهب لملاقاة أصحابه فبإمكانها الاعتماد على نفسها، وهو يبذل جهدًا جبارًا لدعمها في محنتها هذه...

ولكن لم هذا البرود لفراقه وانتقاله لبيت آخر؟ لم هذا التقبل الواقعي البارد؟ كان هو بمشاعره الطازجة متأثرًا بشدة لفراق أمه رغم فرحه بزواجه، مما زاد من خجلها.

حزنت لما تفعله فينا السنون.. فعندما حان وقت زواج ابنها الأصغر، كانت للحق قد تعودت على فراق الأحباب الواحد تلو الآخر، بدءًا من فراقها هي بيت أهلها منذ زمن بعيد، ثم توالى الفراق ففارقها أبواها بالوفاة، وصديقة عمرها بالوفاة أيضًا، وفارقت بيتها وزوجها بالطلاق، ثم بالوفاة، وفارقت ابنها الأكبر بالزواج ثم بالهجرة إلى آخر الدنيا.. هذا إلى جانب فراق زملاء بعد زملاء لانتقالها من عمل إلى آخر، وجيران بعد جيران لانتقالها من سكن إلى آخر.. يبدو أن قلبها وعقلها قد اعتادا فراق الأحباب وبدآ يعدانه من أمور الحياة العادية التي يجب أن تمر مرور الكرام..

فعذرًا يا ولدي..

fb/mashro3pdf

الشجيرات الخضراء

كنت أتناول إفطاري من الجبن بالزعتر وزيت الزيتون والعيش الطازج المخبوز توًا في منتجع بدائي وسط جبال سانت كاترين أقضي فيه بعض الوقت من حين إلى آخر كلما احتاجت عيناي إلى الاغتسال برؤية الفضاء الواسع وألوان الطبيعة، وأذناي إلى سماع صوت السكون. المنتجع يديره الشيخ جميل، ويعيش من دخله عدد كبير من الأسر البدوية، وما إن يصلهم نبأ قدوم زائر، حتى تأتي البدويات من كل ناحية يفترشن أشغالهن اليدوية أملًا في بيع قطعة منها للزائر الجديد.

جلس الشيخ جميل إلى جواري أثناء تناولي الفطور كعادته في مسامرة نزلائه، الذين يعدهم ضيوفه، فهو حكّاء بارع، كثيرًا ما جلس معنا حول

fb/mashro3pdf

المدفأة أثناء زياراتنا الشتوية يقص حكاياته الشيقة الجديدة كل الجدة علينا نحن سكان العاصمة. كان هذه المرة يشكو لي مما سببته مواسم الجفاف المتتالية من قلة الزرع وصعوبة الحياة، وأخذ يشرح لي محاولاته المتتالية لاستخدام كل الوسائل البيئية التقليدية في الحفاظ على أي نقطة مطر.

كنت قد لاحظت أثناء زيارتي هذه المرة آثار الجفاف التي تتبدى في كل مناحي الحياة هناك، وأولها الشجر الذي تحول إلى أعواد جافة لا خضرة فيها. ولكنني كنت أتعجب لأن شجيرات قليلة بعينها من تلك المحيطة بمكان اللقاء والمطعم لا تزال خضراء مورقة، كنت أتساءل: تُرى كيف صمدت وسط هذا الجفاف؟ ولماذا هي بالذات؟

أنهيت فطوري، وجلست أقرأ وسط سحر الجبال المحيطة من كل ناحية حتى انتصف النهار. اقترب الشيخ جميل وفي يده "كوز" مياه صغير. جلس لصق إحدى تلك الشجيرات، الشجيرات الخضراء، معطيًا وجهه إليها، نوى الوضوء، وبدأ يتوضأ رأسًا فوق جذرها...

fb/mashro3pdf

أنا سعيدة

أنعم عليَّ ربي بأني أسعد بأبسط الأشياء.

أسعد لما أركب ميكروباس أو مترو ويكون الناس فيه دمهم خفيف...

لما أروح مكان جديد عليَّ.. مجرد إنه جديد..

لما أتعرف على ناس مجداد... مجرد إنهم جداد...

لما أقعد قعدة حلوة مع واحدة صاحبتي كان بقى لنا مدة ما قعدناش مع بعض...

fb/mashro3pdf

لما أعثر على كتاب حلو فيه كلام من اللي يمس القلب..

لما أسمع غنوة حلوة...

لما ألاقي السحاب عامل أشكال جميلة مع الشمس وهي بتغرب...

لما أُفاجأ بإن القمر بقى بدر من ورايا..

لما آكل الحاجة أول مرة في الموسم...

لما أقول كلمة وتسمَّع عند حد ويحبها...

لما ألاقي اتنين بيحبوا بعض...

مش صعب تبقى سعيد... أنت بس إنوي...

fb/mashro3pdf

وأرقص...!

توطدت علاقتي بإذاعة الأغاني بعد اعتزالي العمل.. أصبحت أحدد جدولي بناء على برامجها.. قبل فيروز أو بعدها.. أسمع عبد الوهاب الساعة الواحدة ظهرًا ثم أعمل كذا، أو أعمل كذا وأرجع بسرعة قبل عبد الوهاب.

أنا لا أستمع إلى هذه الأغاني فحسب، بل أرقص أيضًا على أنغامها..

أستمع إلى عبد الوهاب، وأتذكر ابني الصوفي عاشق التراث المقيم في الولايات المتحدة، وهو حزين يتوق إلى العودة إلى مصر.. إلى شيوخه.. إلى القاهرة مدينة الألف مئذنة.. بلد السيدة نفيسة التي يحبها حبًا خاصًا،

fb/mashro3pdf

وأتذكر افتقادي الشديد له، وشوقي الموجع لاحتضان ابنته واللعب معها مرة ثانية.

أتذكر... وأرقص

أتذكر تجربتي مع المرض، نعم شفيت والحمد لله، ولكن يظل هذا اللعين سيفًا مسلطًا على رقبتك لا تعرف مصيرك معه... لو عاد ربما لا أقبل تلقي العلاج مرة ثانية، يكفيني ما فعله بجسدي مرة، لم تعد طاقتي كما كانت قبله..

أتذكر... وأرقص

أتذكر زوجي الراحل وكيف انقلب حاله تمامًا بعد انفصالنا، كان مسيطرًا وطاغيًا وامتلأ قلبه بالمرارة لعدم تحققه وهو المتميز الموهوب. انفصلنا، فإذا به يتهاوى، يقع عليلًا كليلًا عاطلًا وحيدًا... حزينة أنا على ما جرى له، على مواهبه التي راحت هباء.. على ما سببته له من ألم لم يكن بوسعي تجنبه...

أتذكر... وأرقص

أتذكر والديَّ... كانت أحب فترة في حياتي عندما كنت أنا جيل الوسط، أستمتع بدفء والديّ وأزورهما كثيرًا، وأستمتع أيضًا بولديّ معي في البيت... نذاكر معًا... نذهب إلى النادي معًا... كل شيء نفعله معًا في حميمية يصعب معها أن تعرف الخط الفاصل بينك وبينهما..

fb/mashro3pdf

اختفى الجميع الآن من حولي. رحل والداي... وتزوج ولداي، انفض المولد... وأعيش وحدي تمامًا..

أتذكر... وأرقص

أتذكر القصص التي عشتها في محاولة الارتباط مجددًا، قصة بعد أخرى، لم تستمر واحدة منها لسبب أو لآخر... ربما جرحني بعضهم... وربما جرحتُ أنا البعض الآخر...

أتذكر... وأرقص

كانت أول مرة تظهر عليَّ الرغبة الجامحة في الرقص حين فارقتُ صديقة عمري. كان الشعور مفاجئًا لي، غريبًا عليَّ. يبدو أنه عندما تكون مذبوحًا من الألم، يحتاج جسدك أن يرتج ارتجاجًا معك. التحقت بأحد المعاهد التي تعلم الرقص، وانتظمت في الحصص التي كنت أنتظرها على أحر من الجمر..

وبدأت أرقص..

fb/mashro3pdf

سهير صبري

- حاصلة على ليسانس في الأدب الإنجليزي، ودبلوم ترجمة من جامعة القاهرة.
- عملت مترجمة لسنوات مع منظمات حقوق الإنسان والتنمية في مصر والخارج، ثم في بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة، ترجمت خلالها العديد من المطبوعات والكتب. وفي مجال الترجمة الأدبية، ترجمت كتاب "أزمة منتصف العمر الرائعة" للكاتبة الأمريكية إيدا لوشان، الذي لاقى نجاحا كبيرا عندما نشر للمرة الأولى في عام 1997.
- "... وأرقص" هي أول مجموعة قصصية لها.

بريد الكتروني:

ssabry100@yahoo. com

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

... وأرقص

"ذات صباح جميل مع قدوم الربيع، رأيتها مجددًا، لم أصدق ما جرى لهذه الشجرة.. كان ابتهاجها بالحياة يفوق الوصف، بدأت أوراق طازجة خضراء جميلة تنمو في كل مكان فيها، وما هي إلا أيام قليلة حتى اكتست تمامًا بالأوراق الخضراء، بل وبدأت زهرة رائعة تنطلق من منتصفها، زهرة شديدة الجمال. أهذه هي زهرة الصبار، رمز الحب غير المشروط؟

سرت البهجة في كل كياني مما جرى لشجرتي. ومنذ هذا اليوم، أتذكرها كلما ذبل عودي وأنا أمر بأزمة من أزمات الحياة، أكون على يقين من أنني سوف أورق من جديد، لا أعرف متى، ولكني أكون على ثقة من أنه ذات صباح جميل سأبتهج مجددًا بالحياة كشجرتي، أكون على ثقة أنه مهما طال الوقت فإن هذا الصباح آتٍ".

الغلاف: بسمة صلاح

دار العين للنشر
Elain Publishing House
9 789774 902475

fb/mashro3pdf